اسرائيل ماضية في برنامجها الاستراتيجي والحرب «المفتوحة» على كل الاحتمالات

سمير جبور*

■ غالب الظن ان ستة عقود من الزمان كافية لسبر اغوار كنه البرنامج الاستراتيجي الصهيوني. ستون عاما هي حقبة زمنية طويلة بما فيه الكفاية لمعرفة الهدف النهائي للحركة الصهيونية وحلفائها. والمتتبع لنشاط الحركة الصهيونية التي «فرّخت» اسرائيل لا يصعب عليه التعمق في جوهر التراث الصهيوني المسخ – تراث قائم على العنف والقتل والتدمير وارتكاب كل صنوف الاجرام من دون وازع ضمير. تراث يتلذذ على رؤية جثث الاطفال الذين تصرعهم الطائرات الامريكية الاكثر تطورا في العالم واستخدام الطائرات التي تخترق جدار الصوت فوق رؤوس الاحياء لتصيبهم بعاهات عقلية.

تراث مسخ

تراث قائم على عنصرية بشعة يفرق بين الدم العربي والدم اليهودي. بل يفرق بين دم الجندي الاسرائيلي الذي هو رمز الجبروت العسكري الصهيوني وبين دم المدني الاسرائيلي الذي تقدمه الحركة الصهيونية ضحية على مذبح اهدافها التوسعية السلطوية. فليمت مئة مدني يهودي في سبيل استعادة جندي وقع اسيرا، لكي لا تفقد اسرائيل شيئا من غطرستها العسكرية. وليست هناك حاجة لتذكير القارئ العربي الكريم بان آلة التدمير الاسرائيلية لم تتوقف عن العمل منذ الاربعينات وحتى يومنا هذا.

ولا حاجة للتذكير ايضا بان ما يجري اليوم على الارض الفلسطينية والارض اللبنانية تكرر مئات بل وآلاف المرات، لان اسرائيل تعتبر ان هدفها في لبنان لا يختلف عن هدفها في فلسطين ولا يختلف عن هدفها في اية بقعة من الارض العربية.

اسرائيل ماضية في تنفيذ برنامجها الاستراتيجي القائم على اقامة «امبراطورية» صهيونية –دون ان اتجرأ على تسمية حدودها التوراتية «من النيل الى الفرات» لانني اخشى ان حدود نفوذ هذه الامبراطورية قطعت المحيط الاطلسي. وبالفعل الحركة الصهيونية مجهولة الحدود حتى ان بن غوريون مهندس حدود اسرائيل اجاب على سؤال «الى اين ستمتد حدود اسرائيل؟» قال «حتى السماء».

استخدام القوة لتغيير الوضع الراهن

يعكس تراث اسرائيل هذا عقلية شوفينية تتكون من عناصر الشر فقط. وخلال تاريخ الصراع الطويل لم تبدر من اسرائيل بادرة خير واحدة تجاه العرب. والاجيال المتعاقبة على قيام اسرائيل لم تشاهد من هذا الكيان سوى الشرور والدمار. ويلمس المرء من خلال السلوكيات الاسرائيلية في المنطقة العربية ان العقل الصهيوني خال من «خلايا الخير والسلام» بل مكون من «خلايا الشر والاجرام». انه تراث قائم على عبادة القوة الهدّامة حتى ان عمليات غسل الدماغ المستمرة منذ عقود جعلت الاكثرية الساحقة لسكان اسرائيل تؤمن بان القوة العسكرية وحدها يجب ان تكون لغة «التفاهم» الوحيدة مع الشعب الفلسطيني (وزير الدفاع اليميني السابق موشيه ارنس كتب مؤخرا مقالا تعليقا على خطف الجندي الاسرائيلي غلعاد شاليط ان الوسيلة الوحيدة لاستعادته هي «القوة، القوة، القوة») ولم زئيف شيف المعلق العسكري في صحيفة «هآرتس» الى ضرورة استخدام القوة العسكرية من اجل «عدم السماح بعودة الوضع الراهن» في غزة ولبنان. وهذا ما حدا ببيني تسيفر المعلق في صحيفة «هآرتس» (الموقع الالكتروني 2006/7/15) ان يقول وانقل كلماته من العبرية: «اننا شعب يعاني من مرض الانفصام الشديد في الشخصية. شعب لا يملك وعيا للقوة الهدامة التي تمتلكها دولته ولا للارهاب الذي تفرضه هذه القوة على محيطه».

ان الحملة العسكرية الاسرائيلية الجديدة – القديمة هي تطبيق للعقلية الصهيونية واستراتيجيتها بعيدة المدى في الوطن العربي. كما يجري تطبيقها بصورة حقائق قائمة على الارض. وبالطبع الراي العام العربي لا يجهل هذه الحقائق لانه يعيشها ويتناقلها من جيل الى جيل والراي العام العالمي لا يفهمها ولا يدرك كنهها وحتى لو ادركها لا يستطيع التاثير في مراكزالقرار بسبب عدم قدرته على التاثير في منحى السياسات الخارجية في بلدانه..

وما يجري الآن على الارض الفلسطينية هو امتداد لاهداف الحملة الصليبية التي بداتها اسرائيل قبل قيامها وبعده. وبالعودة الى الانسحاب الاحادي الجانب من غزة لم يكن سوى اعادة ترتيب الوضع الاستراتيجي على حدود اسرائيل الجنوبية. وكان من الواضح منذ البداية ان اسرائيل لم تنه احتلالها الذي تمثل بحصار اسوأ من الاحتلال. ولم تخف اسرائيل نواياها وتلميحاتها بالعودة الى احتلال غزة لمواصلة القضاء على المقاومة الفلسطينية وترحيل العدد الاكبر من سكانه للحؤول دون قيام دولة فلسطينية. وكانت اسرائيل تنتظر الذريعة وتوفرت لها باختطاف الجندي غلعاد شاليط.

والهجوم الحالي المجنون على لبنان هو امتداد للحلقات السابقة من الاطماع الاسرائيلية في لبنان. ففي سنة 1978اجتاحت اسرائيل جنوب لبنان واحتفظت بمنطقة «امنية» حتى الليطاني. واستطرادا غزت لبنا ن في سنة 1982 وضربت حصارا على بيروت استمر 3 شهور. وقد حصد الاجتياح عشرات الالاف من الارواح اللبنانية والفلسطينية. وتخلل هذه الحملة مذابح واهوال امتدادا من صبرا وشاتيلا وحتى قانا. وانسحبت اسرائيل من لبنان في سنة 2000 تحت وطأة المقاومة اللبنانية. ولكن اسرائيل لم تفك ارتباطها بلبنان. وكانت تنتظر الذريعة لاعادة تدمير لبنان بعد ان اخذ يعيد قسما مما فقده، وتنفيذ مخططها البعيد المدى لتحقيق اطماعها في هذا البلد الصغير. وكان من الواضح ان اسرائيل لن تغفر لحزب الله وكانت تنتظر الذريعة فجاءتها باختطاف جنديين اسرائيليين وقتل ثمانية آخرين.

والسؤال الذي يطرح نفسه الان: ما هي الاهداف التي تسعى اسرائيل الى تحقيقها؟

ان الحرب الدائرة الآن مفتوحة على كل الاحتمالات. ففي غياب ضغط دولي عليها، وفي ظل انعدام وجود جهد عربي مشترك فعال يوقفها عند حدها، ستواصل اسرائيل تحقيق اهدافها في غزة اولا بمحاولة القضاء على المقاومة وترحيل اكبر عدد ممكن من سكان قطاع غزة والحؤول دون قيام دولة فلسطينية. فهل الذين خطفوا الجندي الاسرائيلي قرأوا اهداف اسرائيل الاستراتيجية من وراء خطواتها الاحادية الجانب؟ ام ان اسرائيل نصبت لهم الشرك لكي يصادف توقيت معركة غزة مع معركة لبنان؟...

واما ما يجري في الجبهة اللبنانية فهو اكثر تعقيدا. ومرة اخرى نتساءل هل اختارت اسرائيل توقيت المعركة ضد حزب الله، فاستفزته واوقعته في الشرك كما لمح بعض المراقبين الاجانب. فهؤلاء ذكروا ان اسرائيل ارسلت دبابة مركفاه الى الحدود اللبنانية كشرك توقع فيه حزب الله لايجاد الذريعة لتبدأ المعركة ضده والتي يتحدثون عنها منذ مدة طويلة. ام ان حزب الله هو الذي اختار التوقيت في ضوء اعتبارات سياسية واستراتيجية درسها جيدا؟

مهما يكن الحال، الحملة العسكرية الاسرائيلية لم تكن بنت ساعتها وانما كانت تنتظر الذريعة والتوقيت الملائم. فالذريعة توفرت لان اسرائيل زعمت انها هي المعتدى عليها ولم يكن لحزب الله اي سبب للاعتداء على اسرائيل بعد ان انسحبت من لبنان قبل ست سنوات (ولا احد يذكر مزارع شبعا) وهذا بالنسبة الى اسرائيل ملائم جدا للاسباب التالية:

اولا: تمكنت حكومة اولمرت من حشد تاييد الراي العام الاسرائيلي وراءها وهذا تجلى بتشكيل ما يسمى «حكومة وحدة وطنية». وباضمحلال حركات اليسار في اسرائيل بحيث لن نشاهد اية مظاهرات في تل ابيب كما جرى بعد اجتياح لبنان سنة 1982.

ثانيا: في ظل موازين القوى العالمية، تحظى اسرائيل بتاييد اعمى من قبل ادارة بوش التي تتفق مع اسرائيل بضرب حزب الله. في مقابل موقف اوروبي «خجول» ومائع وعديم التأثير وموقف سوفياتي متارجح.

ثالثا: غياب اية استراتيجية عربية لمواجهة التحديات الاسرائيلية. بل ان بعض الدول العربية وقفت مع اسرائيل ضمنا ضد حزب الله وحماس.

والسؤال ما الذي تريد اسرائيل تحقيقه من وراء هذه الحرب غير المتكافئة؟ تريد بالدرجة الاولى قلب الوضع الاستراتيجي في المنطقة راسا على عقب وتغيير الوضع الراهن على الجبهتين اللبنانية والفلسطينية للمضي في تنفيذ برنامجها الاستراتيجي القائم على القضاء على كل شكل من اشكال المقاومة وتدمير كل دولة عربية كلما استعادت عافيتها. ومن ثم الحؤول دون قيام دولة فلسطينية. وحتى هذه اللحظة لا نعرف اذا كانت اسرائيل وامريكا ستوجهان ضربة عسكرية الى سورية وايران او الى احداهما؟ ام انها ستكتفي بتدمير قسم كبير من الجنوب اللبناني لابعاد حزب الله وصواريخه الى العمق اللبناني بعد انهاكه بضربات متواصلة. ولهذا نقول ان «الحرب المفتوحة» التي بشّر بها حسين نصرالله مفتوحة على جميع الاحتمالات.

* كاتب من فلسطين يقيم في كندا

المقاومة والارهاب: الثنائية المثيرة

ابراهيم صحراوي*

■ لم يعُدْ سرا في عالم اليوم اختلاف العرب والمسلمين جملة وتفصيلا جماعات وافرادا سلطات وشعوبا حكومات واحزابا، على مفهومي المقاومة والارهاب وسيكون خطأ فادحا اعتقاد عكس ذلك في ظل التباين الواضح في الرؤى والمصالح والارتباطات. وعليه لنتّفقْ منذ البداية على ضرورة الاتفاق على احترام رؤية كل طرف وتقديره للامور. فكما يُطالبُ فريقُ الفريقَ الآخر بعدم تخوينه ووصفه بالعمالة والتبعية، من حق الآخر ان يطالب بعدم وصفه بالارهاب وبعدم تحميله مسؤولية تدهور الامور والسير بها الى الهاوية، وبعدم حرمانه من صفة المقاومة، واهمٌ من ذلك عدم التشكيك في مشروعيتها. وما دام كلٌ يبحث عن مصلحته الخاصّة فله مطلق الحرية في تقدير مكامنها وكيفية تحصيلها.

نعم من حق البعض ان يحرص على النعيم الذي يتمتّع به. مبان فخمة وسيارات فارهة ومكيفات ومتاجر وارصدة واسهم وما الى ذلك. ومن حقٍ البعض الاّ يهتمّ من الدين الا بفقه النساء ونواقض الوضوء وصفة الصلاة وما الى ذلك ايضا. ومن حق البعض ان يتبنّى النظرة الغربية للدين ودوره في الحياة. لكن من حق الآخرين ان تكون لهم مواقف مُخالفة. من حقٍ كل طرف ان يكون لَه موقف مَن الصراع الاسلامي العربي مع العدو الاسرائيلي الصهيوني. فاذا رأى البعض ان التعايُش والسلام مع العدو اجدى وان العاطفة لم يعد لها دخل في الموضوع وان الحفاظ على المكتسبات المحقّقة ضرورة، فله لك. الا ان هذا لا يعطيه حقّ مصادرة راي من يرى ضرورة جهاد هذا العدو ومحاربته، ومن يرى انه ليس له ما يخسره في هذه المواجهة. لمن يرى للديبلوماسية و(التعقّل) دورا اساسا في استعادة الحقوق، حقٌ في انتهاج هذا الطريق، الا ان ذلك لا يعطيه حق منع الآخر من استعمال البندقية والكاتيوشا ورعد والتساؤل عمّ حقّق العقل والمنطق والديبلوماسية: هل استعاد ارضا او حرّر اسرى؟ هل ردع العدوّ وحدّ من عنجهيته؟

لقد بات واضحا منذ عقود، بل منذ قرون اننا لسنا من يضع المفاهيم. واننا لسنا من يُحدِّد دلالاتها ومعانيها. واننا لسنا من يقرّر ما يصلح لنا وما لا يصلح. هذا اضافة الى ان الرؤية والموقف من اي شيء، ودلالة اي مفهوم، والنظرة الى اي قضية، تتغيّر بتغيُّر الموقع منها. وتختلف باختلاف زاوية النظر. فلمٍ العَتب بعضنا على بعض اذن؟ ليفعل كلٌ منّا ما يراه مناسبا لرؤيته ولنظرته، وليَقُلْ كلٌ منّا ما شاء..لكن ليكن لكلٍ منا شيء واحد على الاقل: شجاعةٌ تحمّلُ المسؤولية في حالتي الربّح والخسارة والقدرة على الاعتراف بالخطأ، ان تبيّن.

* كاتب من الجزائر

الفرصة الايرانية والارتباك الامريكي

احمد سالم اعمر حداد*

■ ادى الاصرار الايراني السيادي المتعلق بامتلاك وتطوير طاقة نووية تتجاوز الاستخدامات المدنية الى امتلاك قوة نووية عسكرية، الى ارباك الادارة الامريكية التي كثرت مآزقها بالمنطقة التي يصطلح عليها التقطيع الامريكي للعالم بالشرق الاوسط الكبير، انطلاقا من الفشل المعتم عليه بافغانستان الى اوحال العراق العسكرية والسياسية الى الورطة الحديثة المتعلقة بالحليف الاستراتيجي اسرائيل والاحراج العسكري الذي يتعرض له بفلسطين وشمال لبنان بعد اسر وقتل جنود اسرائيليين من طرف المقاومتين الفلسطينية والاسرائيلية وزلزلة مقولة «الجيش الاسرائيلي القوي الذي لا يقهر»، مما افضى الى تصدع فرضية ان تهاجم الولايات المتحدة الامريكية ايران عن طريق حرب بالوكالة تنفذها اسرائيل التي اصبحت تعاني من محن شخصية، وهي الفرضية الوحيدة الممكنة بالنسبة للادارة الامريكية لمواجهة ايران عسكريا بعد ترددها وفشلها الواضح في تطبيق عقوبات اقتصادية ومضايقة ايران سياسيا، خاصة بعد الفشل الامريكي بالعراق والحرج الداخلي الذي يعاني منه الرئيس بوش بعد تدني شعبيته لدى الراي العام الامريكي وتنامي المظاهرات الامريكية التي تتعرض لفشل وسلبيات الحرب على العراق، هذا فضلا عن عدم امكانية نجاح الولايات المتحدة في تجميع وحدات حلف دولي ضد ايران مثل الحلف الدولي ضد بغداد لانتفاء الاسباب التي تم من خلالها احتلال العراق، من قبيل غياب الحريات وضرورات اشاعة الديمقراطية والقيم الكونية الحميدة، ذلك ان ايران رغم وصفها بالدولة الدينية واتهامها رسميا من طرف الادارة الامريكية بالراعية للارهاب تحقق تطورات ملموسة وغير مسبوقة في المنطقة خاصة تلك المتعلقة بالمسار الديمقراطي وحرية المراة وتداول السلطة وقضايا التنمية.

دعم ثم مناهضة؟

في البداية، ينبغي التذكير بان البرنامج والطموح النووي الايراني سابق على حكم وحكومة احمدي نجاد، حيث تعود الاصول التاريخية لهذا البرنامج الى منتصف سنوات السبعينات وحكم شاه ايران، عندما شرع الشاه في تنفيذ برامج استيراد محولات ومعدات نووية من المانيا عبر شركة سيمنس ومن فرنسا والولايات المتحدة الامريكية، بهدف توليد الطاقة الكهربائية للاستخدامات المدنية، بمعنى ان الولايات المتحدة ساهمت في وضع حجر الاساس للبرنامج النووي الايراني، بل وشجعت الادارة الامريكية آنذاك ايران على تطوير مصادر الطاقة النووية غير المستندة الى قوة ايران البترولية، بل اكثر من ذلك تلقى اول المهندسين من الكوادر النووية الايرانية تكوينه بمعهد ماساشوستس للتكنولوجيا الامريكي وفي تموز (يوليو) من سنة 1978، وقعت امريكا وايران المسودة الاولى لاتفاقية نووية ثنائية، اي باشهر قليلة قبيل الثورة الاسلامية الايرانية، وكان من بين بنود الاتفاقية قيام الولايات المتحدة الامريكية بتصدير المواد والتكنولوجيا النووية الى ايران ومساعدة الابحاث التقنية الايرانية المتعلقة بذلك.

من هنا، وعند ملاحظة قصر المدة الزمنية الفاصلة بين هذه الاتفاقية –اقل من ثلاثين سنة– تطفو على السطح تساؤلات جوهرية من قبيل ما هي اسباب المعارضة الامريكية لبرنامج نووي وضعت في السابق نواته الاولى وحجره الاساس؟ ما هي الاسرار الكامنة وراء استمرار برنامج نووي بدأه شاه ايران، وتوحدت على التمسك به وتطويره مختلف الحكومات الدينية الايرانية المتعاقبة؟ هل تعارض الولايات المتحدة الامريكية وبعض وحدات الغرب نشوء قوة نووية اقليمية لاسباب دينية؟

رغم حضور الاسباب العسكرية التي تحول دون تقبل الولايات المتحدة الامريكية ان تصبح ايران قوة نووية، من قبيل ان القنبلة الايرانية سوف تحد من قدرات اسرائيل العسكرية في ردع قوى المقاومة الفلسطينية واللبنانية، وزوال ميزة تفردها بالسلاح النووي، وفرض شروطها الخاصة للسلام والحرب معا. وبالتالي خلق توازن رعب شبيه بالتوازن الذي ميز فترة تجاذبات الحرب الباردة. الا ان الاسباب الدينية حاضرة ايضا ذلك ان الولايات المتحدة والغرب عموما رغم دعمهما وتشجيعهما القديم لبرنامج ايران النووي في عهد الحليف آنذاك شاه ايران، الا ان هذا الدعم توقف مباشرة مع نجاح الثورة الاسلامية، وهو ما اضطر ايران الى البحث عن احلاف وشركات جديدة تمكنها من استكمال برنامجها النووي وهو ما نجحت فيه فعلا، مع روسيا والصين وكوريا الشمالية.

تهديدات مؤجلة

احد ابرز تمظهرات الارتباك السياسي الذي تتعرض له الادارة الامريكية بفعل حنكة الدبلوماسية الايرانية التي تلعب باتقان على الاستفادة من مجموع تقاسيم الازمة النووية مع الغرب، انطلاقا من القراءة الجادة والنفعية للمعطيات الاقليمية خاصة بعد زوال واضعاف الجوار المنافس والعدو التاريخي المتعلق بعراق صدام حسين البائد، الى اجادة ادبيات التفاوض السياسي وصناعة الاحلاف وتوليد الخيارات، هو تحول التهديدات الامريكية لايران القاضية باعتماد عقوبات اقتصادية وسياسية ضد ايران الى مجرد كلام مستهلك وسخافة سياسية واضحة، ذلك ان الادارة الامريكية تعي جيدا ان ايران لن تتوقف دون امتلاك تكنولوجيا نووية قادرة تماما على احالتها الى دولة نووية قوية اقليميا ودوليا، كما ان الادارة الامريكية تعي جيدا ان ايران لن تتاثر كثيرا باية عقوبات اقتصادية او سياسية للاسباب الدامغة التالية التي جعلت ايران لا تخشى ما تلوح وتتردد في تطبيقه الولايات المتحدة الامريكية من عقوبات:

اقتصاديا: تحتل ايران المركز الثاني في العالم، بعد حليفتها روسيا الاتحادية من حيث احتياطي الغاز الطبيعي، كما تتوفر مكامن الغاز الايرانية على احتياطي يقدر بـ26604 مليار متر مكعب. وتشير الاحصائيات الى ان ايران تنتج حاليا ما مقداره 5،83 مليار متر مكعب من الغاز الطبيعي سنويا. ويقدر ان هذا الاحتياطي يكفي لمدة 319 سنة قادمة. وبخصوص النفط يقدر الاحتياطي الايراني لسنة 2004 بـ 17199 مليون طن، وهي بذلك تحتل المرتبة الثالثة بعد العربية السعودية وكندا، ويقدر ان يدوم هذا الاحتياطي لمدة 83 سنة قادمة.

عسكريا: يشير بعض المراقبين العسكريين الى ان ايران، بعد انتهاء الحرب الايرانية ـ العراقية، حققت انجازات هامة في مجالات الصناعات الحربية، خصوصا صناعة الصواريخ، اضافة الى تعزيز قواتها البرية من حيث التدريب الجيد ومهارات تخزين الاسلحة، وايران الآن تمتلك قدرات هجومية ودفاعية هامة، وهو ما تؤشر عليه تجارب الصواريخ الايرانية الاخيرة ومختلف الاستعراضات العسكرية التي تم عرضها مؤخرا. هذا فضلا عن قوات الحرس الثوري الايراني المؤدلجة التي تمتلك قوات خاصة معزولة عن قوات الجيوش الايرانية النظامية، وتتالف هذه القوات من قطاعات بحرية وجوية وارضية، الى جانب اجهزة استخبارات مستقلة وبنى تحتية متطورة، وتوصف قوات الحرس الثوري بكونها فائقة التدريب.

من جهة اخرى، استطاعت ايران ان تربط برنامجها النووي بعلاقات تجارية هامة مع كل من الصين وروسيا والهند، وبالتالي فان هذه الدول لن تفرط في عقودها التجارية مع ايران التي تقدر بمليارات الدولارات بكل سهولة، ومن اجل سواد عيون الغرب وامريكا.

كما تدرك الادارة الامريكية جيدا ان فرض اي عقوبات اقتصادية على ايران سوف يرفع كثيرا من اسعار النفط المشتعلة اصلا، وهو ما سوف يصبغ نتائج سالبة على الاقتصاد العالمي، وعلى اقتصاديات ومصالح الدول المستوردة للنفط ومنها الصين، والعديد من دول العالم الثالث المستوردة للنفط ومشتقاته.

الفرصة الايرانية

هل تحتاج ايران فعلا الى امتلاك قوة نووية؟ سؤال متواتر دأب الكثيرون على طرحه خاصة الوحدات الاقليمية من الدول العربية، وهو تساؤل يستند الى بحث الغاية من امتلاك ايران لقوة ومقدرات نووية متقدمة الى جانب احتياطاتها الكبيرة من الذهب الاسود والغاز، وهو ما فشلت الولايات المتحدة في التسويق له على اساس ان ايران تعمل بجهود حثيثة لامتلاك القنبلة النووية بهدف السيطرة على مجموع الوحدات الدولية الاقليمية المجاورة، متناسية ان اسقاط نظام صدام حسين واحتلال العراق واحالته الى فوضى امنية وسياسية سوف يعجل من تقوية ايران اقليميا ومن سرعة امتلاكها للسلاح النووي، ذلك ان ايران لن تفوت باي ثمن الفرصة التاريخية المتاحة، خاصة انها استطاعت ان تحيل فشل الولايات المتحدة الامريكية والدول المتحالفة معها في العراق الى اسانيد دعائية ناجحة اكسبتها تماسكا داخليا، وتاييدا خارجيا من طرف الآراء العامة الشعبية العربية والاسلامية وغيرها، على اساس ان مخلفات التدبير الامريكي الفاشل تستدعي اكثر من اي وقت مضى نشوء قوة اقليمية تلعب ادوار التوازن وتوفير الامن والمنافحة عن قضايا المنطقة عن طريق لعب دور المحاور الاقليمي والاستراتيجي، ويبدو ان ايران نجحت على هذا الجانب من خلال تمكنها من تاليف حلف اقليمي يتكون من الدول العربية والاسلامية التي تعاني من الضغوط الامريكية ويتعلق الامر بسورية وحزب الله اللبناني، هذا فضلا عن تعزيز دورها بالعراق وتحصين ملفها النووي عن طريق احلاف قوية مع روسيا والصين، وشن حملات دعائية قوية ضد التواجد الامريكي بمنطقة الشرق الاوسط توضح فشل الوعود الامريكية بتحقيق الديمقراطية واشاعة الحريات، ومهاجمة اسرائيل بشكل واضح، وهو ما اكسبها تعاطف وتشجيع الشعوب العربية والاسلامية، التي تحس في خطاب ايران القوي والنفعي، الكثير مما افتقدته في تصرفات واعمال حكامها وحكوماتها العربية.

خلاصة القول: عندما احتلت الولايات المتحدة العراق ودمرته بالكامل، كان في تقديرها ان هذا العمل الاستعراضي وضيق الافق سوف يفضي الى تساقط دول المنطقة وشعوبها بالكامل وتسليم الجميع بالمنعة الامريكية واعلان التوقير والخضوع التامين لحليفتها اسرائيل، الا ان القرار الامريكي بتقديراته المختلفة هو من قبيل «الفاست بوليسي» على طريقة الفاست فود الامريكي، حيث فشلت مجموع الفرضيات التي تم على اساسها غزو العراق، وما حدث لم يتعد تساقط بعض الانظمة العربية ضعيفة المشروعية، بينما ازدادت شعوب المنطقة نقمة على الادارة الامريكية وممانعة لها، واستفاق حكام ايران على حماقة امريكية هي بمثابة فرصة ثمينة وضربة جزاء سياسية مباشرة سوف تمكن ايران من تحقيق هدف قديم، وهي ماضية اليه بكل ثبات والقنبلة الايرانية وشيكة الاعلان بكل تاكيد، لتواجد قوى عالمية سئمت الاحادية والعنترية الامريكية تدعم طهران بهدف اعادة تشكيل عالم توزع فيه المهام والمصالح من جديد، ضمن عمليات سياسية جديدة تبدأ من الشرق الاوسط.

* كاتب صحافي وباحث في العلاقات الدولية من المغرب

العراق: هناك تكفيريون شيعة ايضا!

د. عبد الحميد الكاتب*

■ (التكفير، والتكفيريون) مصطلحان متلازمان متلازمان وردا ارض العراق حديثا، جاء هذان المصطلحان مع مصطلحات اخرى لم يكن للعراق ولا شعبه سابق معرفة بها، جاءت متزامنة مع (تحرير) العراق على يد قوات الاحتلال الامريكية، وانتشر هذا المصطلح كلما ترسخت قوات الاحتلال في البلد، ونشط حاملوه بعد ان اصبح المشروع السياسي للاحتلال واقعا معمولا به من قبل بعض الاطراف السياسية.

لا نريد الاسهاب في الحديث عن خلو العراق سابقا من هذه الفئة (التكفيرية)، ولسنا بحاجة للتذكير عن التعايش والتآخي والتصاهر بين سنة العراق وشيعته، لكن لنتحدث مباشرة عن الواقع الجديد الذي فرضه الاحتلال، وعن هذا الداء الذي افرزه الاحتلال، فالتكفير اصبح اليوم شيئا لا يمكن انكاره، وداء ينخر في جسد الوطن والمواطن، وليس سرا ان نقول ان (التكفير) في عراق اليوم يصدر من كلا الطرفين ـ سنة وشيعة ـ، وان (التكفيريين) ينتسبون الى كلا المذهبين، لكن لنحاول استعراض هؤلاء (التكفيريين) من كل مذهب على حدة، ونتعرف على آثارهم وتحديد المسؤولية عنهم.

فبين ابناء السنة من يحمل فكر (التكفير) ويعلن ان جميع الشيعة كفار تباح دماؤهم، وقد تبنى هؤلاء جملة عمليات استهدفت اسواقا يكثر فيها الشيعة، وفجروا بعض الحسينيات التي تعود للشيعة، لكن يمكننا ان نسجل على هؤلاء (التكفيريين) عدة ملاحظات:

1ـ انهم لا يكفرون على اساس طائفي فقط بل انهم يكفرون كل مخالف لهم، فانهم يكفرون كذلك الكثير من ابناء السنة، ومنهجهم في التكفير هو ان كل من يخالفهم ـ في عقيدة او اجتهاد الفروع وربما في الهيئة ـ هو كافر.

2ـ ان الكثير من العمليات التي نسبت اليهم قد افتضح امر تلفيقها عليهم، واتضح جليا ان الاحتلال واعوانه يريدون الصاق التهمة بهم في الكثير من الجرائم التي يرتكبها الاحتلال واعوانه.

3ـ وحتى العمليات التي اعلن هؤلاء (التكفيريون) عنها نجدها موجهة الى منطقة يكثر فيها الشيعة، وهي ليست حصرا على الشيعة، فاهل العراق يعرفون ان ما من مكان يكون فيه الشيعة حصريا، فالتفجير في الكاظمية مثلا ربما يطال السنة لان السنة يذهبون الى الكاظمية بقصد التسوق او الانتقال عبر (الكراج) الى الطارمية والمشاهدة وبلد وما جاورها.

4ـ والمهم هنا اننا لا نجد اي مرجعية دينية عراقية معروفة تؤيد هؤلاء، بل نجد ان مرجعية السنة في العراق دائما تستنكر اعمالهم التي تطال الابرياء من الناس، واستنكار المرجعية السنية واضح وصريح ليس فيه مراوغة ولا مجاملة.

5ـ لا يعرف لهؤلاء (التكفيريين) قيادة دينية او ميدانية من الشخصيات العراقية.

6ـ عملياتهم الموجهة ضد الشيعة لم تكن تهدف الى اعاقة مشروع الشيعة في المقاومة وتحرير العراق، وهي وان كانت تخدم الاحتلال في تحقيق الفتنة الطائفية التي يسعى اليها الا ان (التكفيريين) كانوا يعلنون انهم يضربون اعوان الاحتلال.

7ـ لا يعرف لهؤلاء (التكفيريين) اي مساندة من قبل الاحتلال او اجهزة الدولة الامنية، بل الحرب ضدهم معلنة وقائمة على قدم وساق من قبل الجميع.

فماذا عن (التكفيريين) عند الشيعة؟ فالمصطلح ليس حكرا على السنة فقط كما قدمنا، بل لقد فاق الشيعة غيرهم في هذا الميدان، فما هي اهم الملاحظات على (التكفيريين) الشيعة :

1ـ تكفيرهم مبني على اسس طائفية مذهبية، فالكافر عندهم هو كل سني مهما كان رأيه او التزامه الديني، ولا يكفرون اي شيعي حتى لو كان شيوعيا.

2ـ عملياتهم التكفيرية فاقت عدد عمليات غيرهم، وتجاوزت في عددها وحجمها عمليات الاحتلال ضد ابناء العراق، ولم يقفوا عند حدود قتل السنة وتعذيبهم بل طالت المساجد والمصاحف.

3ـ تكفيرهم للسنة ليس بشكل عشوائي يوجه الى تجمعات يكثر فيها السنة، بل هي عمليات قتل موجه لا مجال فيه للخطأ ضد غير السنة.

4ـ لم نسمع اي بيان او فتوى من المرجعيات الشيعية تستنكر اعمال هؤلاء، بل سكوت هذه المرجعيات يفسر بانه القبول باعمالهم التكفيرية الاجرامية، وربما سمعنا من بعض تلك المرجعيات خطابا تحريضيا لهؤلاء.

5ـ التكفيريون الشيعة معروف انتسابهم وقياداتهم معلنة، فهم اما ينتمون الى (قوات بدر) او (جيش المهدي)، وهؤلاء معلومو القيادة والمرجعية والانتماء.

6ـ واخيرا فقد ادت الاعمال الاجرامية (للتكفيريين) الشيعة ضد ابناء السنة الى اعاقة عمل المقاومة في بعض الاحيان، فقد ادت الهجمة ضد المساجد والاحياء السنية الى انشغال الشباب في التصدي لهؤلاء، ولذلك لاحظنا انخفاض عمليات المقاومة في المناطق الساخنة التي حصلت فيها الفتن الطائفية.

7ـ لاحظ الجميع ان جيش الاحتلال لا يتدخل في الكثير من الاحيان لمنع هجمات هؤلاء (التكفيريين) ضد المساجد واهلها، وهل يتصدى الاحتلال الا لمن يشكل خطرا عليه! اما الاجهزة الحكومية فلم يعد سرا مساندتها لهم، بل ان اغلب اعمالهم الارهابية يقومون بها تحت ستار الدولة، فهم يتحركون بلباس وسيارات وسلاح الداخلية، ويتخذون من مباني وزارة الداخلية معتقلات لممارسة ابشع انواع التعذيب ثم القتل.

هذه المقارنة توضح لنا بجلاء حجم (التكفير) في العراق، وتوضح الآثار الناتجة ضد ابناء العراق، وليس تحيزا لجانب ضد آخر فالجميع مرفوض وعملهم مستنكر، وفكرهم مستهجن فهو يخدم اولا واخيرا الاحتلال ولا يؤدي الا الى تقسيم البلد، لكن رغم ادانتنا لكلا الطرفين فان الواقع يقول ان خطرهم ضد ابناء العراق ليس سواء، وحجم الاذى الذي لحق ـ ولا يزال ـ ليس بدرجة واحدة، والادهى والامر هو ان نعرف من يقف وراء هؤلاء او هؤلاء ومن يساندهم، فالجريمة لا تقف حدود المسؤولية فيها عند مرتكبها بل تتعداه الى المساند والساكت عليها، والعالم كله يقول لأهل العراق (اليس فيكم رجل رشيد) يدرك هذا الخطر ويقف ضده؟ الايام القادمة وحدها تاتينا بالخبر اليقين.

* كاتب من العراق

الأسير سعيد العتبة: 29 عاما في المعتقلات والزنازين

نضال حمد*

بحلول يوم الجمعة الموافق التاسع والعشرين من تموز (يوليو) الجاري يمضي الأسير الشامخ سعيد العتبة عامه التاسع والعشرين في معتقلات الصهاينة.

قضية الاسرى لا زالت القضية الاولى التي تشغل بال آلاف العائلات الفلسطينية حيث لكل من تلك العائلات ابن او بنت في المعتقل والزنزانة. وعائلة الأسير سعيد العتبة تعتبر اقدم عائلات الاسرى انتظارا للفرج الذي ياتي به الرب او تاتي به المقاومة المؤمنة بان الصراع مع الاحتلال الصهيوني في كل الميادين وليس فقط في جزءٍ من ارض فلسطين. ورغم ان المقاومة العربية في فلسطين ولبنان تمكنت خلال سنوات الصراع الطويلة مع العدو الصهيوني من اجراء عمليات تبادل عديدة للاسرى، الا انها لم تتمكن من اطلاق سراح جميع الاسرى الفلسطينيين والعرب. اذ هناك بالاضافة لسعيد العتبة اقدم الاسرى الفلسطينيين في المعتقلات وكذلك عميد الاسرى اللبنانيين سمير القنطار والعديد من الاسرى الآخرين الذين تجاوزوا الـ20 سنة. هناك ايضاً مئات منهم مرت عليهم اكثر من 15 عاما في السجن، وهناك مئات لا زالوا في الاسر منذ ما قبل توقيع اتفاقية اوسلو الشهيرة. كما هناك عشرات النسوة والفتيات اللواتي لا زلن رهائن للعنصرية والعدوانية الحاقدة التي تمارسها سلطات السجون بحقهن وعليهن. وهناك الطفل الرضيع نور (سنة ونصف السنة) الذي ولد في المعتقل ولا زال رهينة السجن مع والدته المناضلة الصابرة والصامدة منال غنام.

بحلول يوم الجمعة الموافق التاسع والعشرين من تموز (يوليو) الجاري يمضي الأسير الشامخ سعيد العتبة عامه التاسع والعشرين في معتقلات الصهاينة. ويبلغ ابو الحكم المنحدر من منطقة نابلس 55 عاما، وكان اعتقل في 1977/7/29 حيث يبلغ من العمر آنذاك 26 عاما، وهذا يعني انه قضى في الزنازين والمعتقلات اكثر من نصف عمره، ويعني انه قام مع رفاقه الاسرى القدامى من المحررين ومن الذين لا زالوا معتقلين بتخريج دفعات واجيال من الاسرى والمعتقلين، الذين خرجوا بدورهم ليقوموا بواجبهم الوطني على خير وجه. ولا زال بعض هؤلاء يتذكر عشرة السجن ومعارك الاسرى التي خاضوها معا ضد السجان والسياسة العنصرية للسجانين الصهاينة. وابو الحكم نفسه لا زال يتمسك بالمبادئ التي على اساسها يواصل نضاله من اجل حرية كافة الاسرى والمعتقلين في سجون الاحتلال.

ام راضي، والدة سعيد العتبة، الحاجة التي لا زالت تنتظر عودة الشاب سعيد لم تفقد الامل بل زاد ايمانها قوة بان حرية سعيد لا بد آتية وهي بانتظاره. ونحن بدورنا ندعو الله ان يمد في عمرها حتى ترى حرية سعيد وتعانقه قبل ان تمضي الى ربها راضية مرضية. ففرحتها بخطوبة ابنها الشاب لم تتم لان الاحتلال قام باعتقاله قبل ان تتم خطوبته على احدى فتيات نابلس، وشاءت الصدف ان يوم اعتقاله كان يوم موعد زفاف